

مسألة التربية و التعليم عند عبد العزيز الثعالبي و علال الفاسي	
The question of education and teaching with Abdel Aziz Al-Thaalabi and Allal El-Fassi	
La question de l'éducation et de l'enseignement chez Abdel Aziz Al-Thaalabi et Allal El-Fassi	
Rehai mohamed	د/ رحاي محمد
university of skikda	rehai mohamed@yahoo.com
جامعة 20 أوت 55 سكيكدة	

الملخص:

يعتبر كل من عبدالعزيز الثعالبي و علال الفاسي من نماذج النخبة المغاربية التي جمعت بين العمل السياسي و العمل الثقافي الإصلاحي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، فكان كل منهما في طليعة المقاومة السياسية ضد الاستعمار الفرنسي في بلده، حيث كان الثعالبي زعيما للحزب الدستوري التونسي القديم، بينما كان علال الفاسي زعيما لحزب الاستقلال المغربي، كما تخرج كل منهما من قطب علمي و ثقافي في بلده، حيث تخرج الثعالبي من جامع الزيتونة، بينما تخرج علال الفاسي من جامعة القرويين، فكان لكل منهما إسهامات فكرية و ثقافية تروم الجمع بين الأصالة و المعاصرة، و من المسائل المهمة التي تناولها كل منهما مسألة التربية و التعليم، باعتبارها أساسا لتكوين جيل متحرر، يطمح إلى النهضة، وهذا المقال يسلط الضوء على نظرة الرجلين لهذه المسألة من خلال كتاباتهما.

Summary:

Abdulaziz Al-Thaalibi and Allal El-Fassi are considered examples of the Maghreb elite who combined political action and cultural reform work in the first half of the 19th century, and both were at the forefront of the political resistance against French colonialism in their country, where Thaalabi was the leader of the former Tunisian constitutional party While Allal El-Fassi was the leader of the Moroccan Independence Party, both graduated from a scientific

pole and culture of their country, where Al-Thaalabi graduated from Zaytuna Mosque, while Allal El-Fassi graduated from Al-Qarawiyyin University, and each made intellectual and cultural contributions aimed at bringing originality together and the contemporary And one of the problems A task that each of them addressed the issue of education, as a basis for forming a free generation, aspiring to rebirth, and this article highlights the two men's vision of this question through their writings.

Résumé :

Abdulaziz Al-Thaalibi et Allal El-Fassi sont considérés comme des exemples de l'élite maghrébine qui a combiné l'action politique et le travail de réforme culturelle dans la première moitié du XIXe siècle, et tous deux ont été à la pointe de la résistance politique contre le colonialisme français dans leur pays, où Thaalabi était le chef de l'ancien parti constitutionnel tunisien Alors qu'Allal El-Fassi était le chef du Parti de l'indépendance marocaine, tous deux sont diplômés d'un pôle scientifique et culturel de leur pays, où Al-Thaalabi est diplômé de la mosquée Zaytuna, tandis qu'Allal El-Fassi est diplômé de l'Université d'Al-Qarawiyyin, et chacun a apporté des contributions intellectuelles et culturelles visant à réunir l'originalité et le contemporain Et l'un des problèmes Une tâche que chacun d'eux a abordée la question de l'éducation, comme base pour former une génération libre, aspirant à la renaissance, et cet article met en évidence la vision des deux hommes de cette question à travers leurs écrits.

1- نظرة الثعالبي للتربية و التعليم:

اهتم الشيخ عبد العزيز الثعالبي بالجانب التربوي وأولاه عناية خاصة، لأن محور هذا الجانب هو العلم الذي يعتبره "ركنا أساسيا لمهضة الأمم، وذكر أن من الأسباب الجوهرية في تخاف المسلمين يرجع إلى الجهل وبأن الباحثين " قد أجمعوا على أن لا دواء لهذه العلة إلا بالعلم وإنشاء المدارس، و لكن على أي نمط و أي برنامج تمشي هذه

المدارس"⁽¹⁾، ولقد اعتمد الشيخ على المنهج التاريخي في تناوله لهذه المسألة " فوصف لنا أهمية العلم في مختلف الحقب والعصور، ثم مر على عصر النهوض بالعلم أيام الإزدهار الإسلامي و أتى بعدها على الحالة العامة للعلم والمدارس في البلاد العربية والإسلامية"⁽²⁾، وانتقد الشيخ واقع التعليم الذي كان يعاصره " فالتعليم الرسمي المقدم إلينا ليكون أساسا لتربيتنا الاجتماعية، هو بعيد عن طبيعتنا مثله بالنسبة إلينا كمثل الحضارة الصينية بالنسبة للمثل الأعلى الفرنسي"⁽³⁾.

و قد ذكر الثعالبي أن تونس كانت قبل الحماية مركزا حضاريا لها مؤسسات تعليمية شعت بنورها على المغرب العربي وحتى على المشرق، وخاصة منها جامع عقبة بن نافع في القيروان وجامع الزيتونة في تونس، الشيء الذي جعل تونس " مركزا حضاريا ينافس إلى حد بعيد مركز القاهرة"⁽⁴⁾، كما أكد أن تونس كانت " تتمتع بهضة رائعة ونظام للتعليم العمومي متكامل وقابل للإصلاح"⁽⁵⁾.

و كان الشيخ يرى ضرورة إعداد جيل يعي خطط المستعمر الأجنبي التي ترمي إلى إلحاق البلاد بفرنسا، وإدماج شعبها من خلال سياسة تعليمية مشتتة تقوم على تعدد المدارس وتشعب مناهجها وطرقها، وتباين برامجها وأهدافها، إضافة إلى أن هذه المدارس هي خالية من كل طابع قومي، ولا يتركز على منهج تربوي تونسي يراعي مصلحة الوطن، ويلتزم مقتضيات واقعه، كما تأثرت المدارس غير الفرنسية ببرامج التعليم الفرنسي، واعتبرت اللغة العربية لغة ثانوية وأهملت التعريف بجغرافية البلاد وتاريخها، بالإضافة إلى وجود المدارس الأجنبية بين إيطالية وفرنسية تابعة للكنيسة المسيحية تقدم تعليما غريبا.

و بين أن الاستعمار كان يعمل للقضاء على كل محاولة إصلاح، فكان يعمد إلى ضرب المؤسسات التعليمية، فوقف في وجه الإصلاحات التي كانت تشهدتها الكتابات لتحفيظ القرآن وتعليم اللغة العربية، ومنع إدخال تغييرات عليها، فاستصدر في ذلك قرار 8/نوفمبر/1894م، وذلك رغبة في إبقائها على ما هي عليه من التعفن والنقص في قواعد حفظ الصحة"⁽⁶⁾، وكان لزيارة محمد عبده لتونس سنة 1903م تأثير في بعث الإصلاح التعليمي حيث ألقى محاضرة بعنوان " العلم وطرق التعليم" و أكد على ضرورة التمسك باللغة العربية"⁽⁷⁾.

مسألة التربية و التعليم عند عبد العزيز الثعالبي و علال الفاسي

و قد فضح الثعالبي السياسة الإستعمارية و كشف أهدافها في محاولة إبقاء المؤسسات التعليمية في تونس على حالتها المتردية، و عرقله أي محاولة للتحديث، و بين الشيخ أن الهدف الرئيسي من هذه لسياسة هو " تحويل هذه المؤسسات إلى مصانع تصنع فيها من أبنائنا أيدي عاملة رخيصة ذميمة"⁽⁸⁾، و دعا في المقابل التونسيين إلى إنشاء مدارس خاصة، و أن يتعهدوها بالحفظ و التحديث، و لا ينتظروا من الأجنبي أن يبادر بذلك. و أنشأ التونسيون مدارس حرة منها المدرسة الحرة التي أنشأها خيرالله بن مصطفى في ديسمبر 1906 م ، و هي أول مدرسة حرة و نموذج للتعليم الابتدائي الأهلي سميت بالمدرسة القرآنية العصرية، و كان يرتادها منذ الشهر الأول نحو مائتي (200) تلميذ⁽⁹⁾، على أن الثعالبي يرجع سبب انحطاط المستوى العقلي إلى وسائل التعليم المتبعة في المرحلة الابتدائية، ففي سنة واحدة تأسست في تونس " مدارس للمسلمين و أخرى لليهود، فكانت دروس التلاميذ المسلمين تدور حول تعليم التلاميذ ما يملأ نفوسهم غرورا و كبرياء، فيحفظون قول الشاعر:

سواي يخاف الموت أو يهرب الردى و غيري يهوى أن يعيش مخلدا.

أما أبناء اليهود فكانوا يتعلمون كيف يكتبون مكتوبا تجاريا، أو يراسلون عميلا أو يستقدمون شريكا للحساب ثم هم يلقنون ما ينفعهم في تقدير قيمة الوقت و المال و العمل..."⁽¹⁰⁾.

وكان الثعالبي يجاهر بالدعوة إلى الإصلاح في جامع الزيتونة و ينتقد أساتذته، و طريقة التدريس و مناهجه بالجامع، و من إصلاحاته التي تخص جامع الزيتونة دعوته إلى الخروج بالتعليم من الجامع إلى " أقسام صحية تناسب الذوق العصري للكليات" و تفصل بين أماكن العبادة و أماكن العلم و المناقشات، فكان دور الشيخ الثعالبي كبيرا في استنهاض الهمم من أجل إدخال إصلاحات بمؤسسة الجامع بما يكفل له الاستمرار في التأثير الإيجابي على الوضع الثقافي و التعليمي، و كذا مواكبة العصر و مقاومة الأساليب الاستعمارية الرامية إلى المساس بهوية الشعب التونسي و أصالته.

و قد أثرت الحركة الاحتجاجية لطلبة الأزهر بمصر سنة 1909م على طلبة الزيتونة بتونس الذين سلكوا نفس الطريقة للمطالبة بتحقيق إصلاح معيهم⁽¹¹⁾، فقام ما يزيد عن 800 طالب زيتوني بتقديم عريضة سنة 1910م تعبر عن سخطهم من عدم انتظام الدروس لكثرة تغيب الأساتذة، و طالبوا بتحسين وضع الطالب، و إسناد مادتي التاريخ

والجغرافيا إلى أساتذة مختصين، وبعد شهر من رفع عريضتهم و عدم حصولهم على مطالبهم قرروا الإضراب عن الدروس، وقاموا بمظاهرة و جابوا شوارع المدينة، وتجمعوا أمام مقر دار الحكومة بالقصبة، وكان في صفوفهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي أحد قادة الشباب التونسي يشجعهم على الاحتجاج و يؤيد مطالبهم.

وبمناسبة نجاح هذا الاحتجاج أقام الطلبة حفلا بساحة المدرسة الصادقية، اجتمع هناك أكثر من ألفي شخص بين طلبة و قادة وطنيين، وكان الثعالبي من بين الحضور ، وألقى خطابا بليغا أشاد فيه بجهود الطلبة، وانتقد الأسلوب القديم المتبع بجامع الزيتونة، و بين الحاجة إلى العلوم العقلية التي هي قبسة من نور الله و آثار صنعه و حكمته في الوجود.

و أكد الثعالبي أن العبرة ليست في إكثار المدارس و تخرج المعلمين، وإنما العبرة بإحكام البرامج التي تدير عليها هذه المدارس و توحيدها لتخرج رجالا عاملين في سائر الأقطار، مدفوعين بفكرة واحدة هي رفع الإسلام من الكبوة التي وقع فيها⁽¹²⁾ ، وأكد بأن التعليم إذا لم يخلص إلى هذه النتيجة فهو بلا شك " شر محض لا خير فيه"⁽¹³⁾. فالثعالبي يدعو إلى إصلاح التعليم حسب الطرق الحديثة وفق الأسس:

أ- الاهتمام بالعلوم و الفنون و الصناعات الحديثة.

ب- إصلاح مناهج التعليم التي يجب أن تلتزم أسلوب الفهم و الإدراك، وإعمال العقل لا أسلوب الحفظ و حشو الأدمغة بالمعلومات كما هو الشأن في التعليم التقليدي.

ج- ضرورة تعميم التعليم بين مختلف فئات المجتمع و لا يفرق في ذلك بين الغني والفقير⁽¹⁴⁾.

وفي معرض حديثه عن أمراض العالم الإسلامي أشار إلى ضرورة وجود الجامعات و مناهج البحث بقوله⁽¹⁵⁾: " أما رأيي الخاص فلست أرى لها أهلا غير الجامعات التي تكون لها خطط مدققة في الإحياء و التجديد، لا تلك المترتبة التي لا تخرج غير عقول آلية تتحرك بإرادة غيرها".

و يعلل غياب الشعور بالجامعة العربية بأن " السبب في ذلك راجع إلى عدم وجود ثقافة عامة و انعدام وسائل للتربية و التعليم بن الأقطار العربية، فأكد بأن الأمم التي لا يكون لها كيان علمي متحد و لا ثقافة عامة تكون سهلة التمزق و تصبح جامعتها بطبيعة الحال معرضة للانحلال"⁽¹⁶⁾.

مسألة التربية و التعليم عند عبد العزيز الثعالبي و علال الفاسي

قام الثعالبي باقتراح من أجل تحقيق سياسة تعليمية عربية مثلى، مفاد هذا الاقتراح هو إقامة مناهج موحد للتعليم لكل الأقطار العربية، لتحقيق وحدتهم في هذا المجال، فإن كان متعذرا تطبيقه على المستوى الحكومي فبالإمكان تحقيقه عن طريق المدارس الحرة، واقترح أن يقوم بهذا الدور أخصائيون في سياسة التربية و التعليم، من خلال اجتماعهم في مؤتمر يعقد لهذا الغرض⁽¹⁷⁾، يقرر هذا المؤتمر البرامج و الأسس الكفيلة بتوحيد القومية على أن تكون له اجتماعات دورية سنوية تعمل على تحقيق الإصلاحات الضرورية.

و لا يخفى البعد الديني الإسلامي في مشروع الثعالبي، فهو عنصر البداية بما في ذلك المشروع التربوي فهو " من أرقى و أكمل الشرائع التي جاءت لترقية المجتمعات البشرية و هدايتها و ليست الهداية غير ناموس التطور و الإنتقال"⁽¹⁸⁾.

يولي الثعالبي عناية خاصة باللغة العربية و يعتبرها " الوسيلة الوحيدة القادرة على إحيائنا"⁽¹⁹⁾، و يعلل سبب بقاء الروح العربية منتشرة رغم سقوط كيان العرب السياسي و سيطرة الأعاجم عليهم أن السر في ذلك هي اللغة العربية، التي اعتبرها المستعمر العدو المناهض له، و أكد أن اهتمام الأمم بلغاتها هو سلوك حضاري لأنها تدرك " أن انتشار سيادتها و نفوذها يتوقف على نشر و تعميم لغتها"⁽²⁰⁾.

و إلى جانب دعوته إلى التمسك باللغة العربية باعتبارها أحد مقومات الشخصية التونسية، كان ينادي بضرورة تعلم اللغات الحية و خاصة اللغة الفرنسية، و ذلك من أجل اقتباس العلوم الحديثة و مواكبة التطور الحاصل في الغرب، و اعتبرها " من وسائل النهوض العظمى"⁽²¹⁾، و على الرغم من جهل الثعالبي باللغة الفرنسية فقد أخرج كتابه " روح التحرر.." باللغة الفرنسية بالتعاون مع الهادي السبعي و سيزار بن عطار. و تعلم اللغات في رأي الثعالبي ليس غاية ترضى لذاتها، و إنما هي وسيلة للوصول إلى مختلف العلوم و الفنون التي كتبت بها، و الترجمة تسهم في إثراء اللغة العربية، و لذلك دعا عند تأسيس المدارس أن يكون ثمة اهتمام باللغات الحية.

و موقف الثعالبي هذا يندرج في إطار نقد العقل العربي، و محاولة إعادة بنائه بناء سليما يراعي سنة التغير و التطور، فهو يؤمن بتطور اللغة العربية و عدم جمودها، لذلك فهو يدعو إلى الاجتهاد من أجل مواكبة هذه اللغة لمتطلبات العصر، واقترح في هذا الشأن مجمعا لغويا علميا من المطلعين على لغات أوروبا الحية، و متضلعين في اللغة العربية

لترجمة أو تعريب الأسماء والتراكيب والمصطلحات العلمية الحديثة، و نشرها على صفحات المجلات واستعمالها حتى تصبح مألوفة في اللغة العربية⁽²²⁾، كما دعا إلى الإكثار من إصدار الصحف والمجلات العربية لأنها أفضل الطرق للمحافظة على اللغة العربية.

2- نظرة علال الفاسي للتربية والتعليم:

تحدث علال عن التعليم وأغراض التربية ووسائلها و لغة التعليم ومناهجه، في كتابه النقد الذاتي، فقد بين أهمية التعليم في الأمة و ضرورة أن تسلك المدرسة المغربية الوسائل الحديثة في التربية.

فتحدث عن أغراض التربية، الذي هو موضوع من مقدمات علم التربية، فيبعد أن تساءل ماهي أغراض التربية؟ هل هي كسب الرزق؟ أم هل هي التعليم و التهذيب؟ أم هي العلم لذاته؟ أم هي الأخلاق؟ أم هي تخص مصلحة الفرد أم مصلحة الجماعة؟ وأجاب علال أنه لا يمكن إهمال كسب الرزق من الاعتبار التربوي لأن تعليم الناس حرفة أو مهنة للاستزاق هو أمر ضروري إلا أنه لا يمكن أن يكون هدفا وحيدا للتربية و إلا كان ذلك قضاء على القيم المعنوية في النفوس، ولطغت الطرق غير الشرعية في الكسب من أجل جمع المال، وانتقد علال بعض الآباء في المشرق فيقول⁽²³⁾: "يكتفون بتعليم بناتهم الإيقاع على البيانو وبعض أنواع الرقص أو الموسيقى كما، كما رأينا شبانا حسمهم من المعرفة أن يملؤوا أدمغتهم بأسماء النجوم و الكواكب في عالم التمثيل والسينما، وما يصحب ذلك من توافه لا قيمة لها".

و على الرغم من أن طلب العلم لأجل العلم هو مقصد شريف إلا أنه لا يكفي لأن " العلم يدركه الشيطان كما يدركه الملك و يكون آلة لفعل الخير كما يكون أداة لفعل الشر"⁽²⁴⁾ ، و يعلل ذلك كون العلماء هم الذين صنعوا الغازات السامة الخانقة، كما صنعوا القنبلة الذرية، فإن لم يحكم هذا العلم الضوابط الأخلاقية فإنه ستكون الكارثة على الإنسانية، لذلك فهو يرى العمل على تنمية الخلق الطيب من أغراض التربية وأن يكون هذا الغرض عاملا مشتركا في كل الأغراض، وأكد أن الإسلام قد راعى هذه الحقيقة و بين " أن مقياس كل مصلحة هي الخلق المستمد من الفطرة"⁽²⁵⁾، والهدف الأكبر من التعليم هو الأدب والخلق والسلوك، وخير وسيلة يراها علال هي القدوة الحسنة من الأستاذ الذي هو " خير من عديد الدروس و الأحاديث بالنسبة لما يتركه من أثر في نفوس

مسألة التربية و التعليم عند عبد العزيز الثعالبي و علال الفاسي

أبنائه"⁽²⁶⁾، وأوجب الاهتمام بالصحة في البيت و المدرسة ، وأن تكون هناك ثقافة صحية، فتشتمل المدرسة على التدريبات الرياضية، وأن يكون هناك فحص طبي للتلاميذ على الأقل مرة في السنة.

و من أهداف المدرسة تعليم الوسائل الأولى من قراءة وكتابة وحساب ، وأوجب أن يكون التعليم باللغة القومية الموحدة أي اللغة العربية، في جميع مدارس الوطن، وأن يشمل الذكور والإناث، الفقراء منهم والأغنياء، وأن يكون في البرامج تعليم بعض المهين بحسب المناطق التي توافق طبيعتها.

و أوجب الاهتمام بتربية خلق المواطنة في نفوس التلاميذ بتدريهم على حب الوطن، والإخلاص له، والعمل من أجله ، ودراسة تاريخ الوطن و أمانى الأمة يساعد على تلك التربية، و يجتمع على تربية التلميذ كل من الأستاذ و الأبوان، وكذا البيت و المدرسة.

وتحدث علال عن تنوع المدارس في زمن الحماية الفرنسية على تونس فأكد بأن هناك مدارس فرنسية وفرنسية عربية، ومدارس تابعة للإتحاد الإسرائيلي لليهود المغاربة، و أخرى مدارس فرنسية بربرية، وهناك مدارس أصلية. واللغة العربية ليست هي لغة تعليم كامل إلا في المدارس الأصلية وهي المدارس القرآنية المتطورة ، أما في المدارس الأخرى فإن حظ اللغة العربية ضعيف، فالعلوم لا تدرس إلا باللغة الأجنبية، والمدارس العامة، وهي أهم المدارس التي تؤسسها الحكومة المغربية للأوروبيين و للأجانب المقيمين في المغرب، فلا يقبل فيها المغاربة إلا بتوصيات و أحيانا ترفض، و اللغة العربية تعتبر لغة أجنبية، والتعليم كله باللغة الفرنسية أو الإسبانية.

و يرفض علال مسألة ازدواجية اللغة في المدارس، ويعتبر أن تعدد اللغات في البلد الواحد من الوجهة التربوية يضر كثيرا بمستقبل الأبناء و الثقافة في الوطن، وبأنه يجب على الدولة " أن تعمل ما في استطاعتها لتكوين لغة الدراسة واحدة في جميع أجزاء القطر و في كل مراحل التعليم"⁽²⁷⁾، واعتبر اللغة القومية هي إحدى مقومات الأمة الأساسية، وبأن الأمة التي تتعلم باللغة الأجنبية لا يمكنها أن تفكر إلا بفكر أجنبي عنها، ويذكر علال بهذه المناسبة قولاً لصديقه بلافريج " أن العلم إذا أخذته بلغتك أخذته و إذا أخذته بلغة غيرك أخذك"⁽²⁸⁾، لذلك فعلال ينادي بضرورة أن تكون اللغة العربية هي لغة التعليم في المغرب، فهو بذلك يدعو إلى التعريب⁽²⁹⁾.

ولا يمانع من دراسة اللغات الأخرى بعد أن تستقر اللغة العربية باعتبارها اللغة الأصل، لأن تعلم اللغات يفتح للمغاربة آفاق الاتصال بالعالم الغربي، للاقتباس من علومه وتجاربه، لأنه "لا توجد أمة على وجه الأرض تضحى بلغتها التي هي عنوان وجودها، و تنتحل لغة أخرى ولو بلغت من الحيوية ومن السمو إلا إذا كان ذلك عن طريق القوة و الاضطهاد غير المقبولين"⁽³⁰⁾، فيمكن القول أن نضال علال مع رفاقه ضد الاستعمار يأخذ طابع المقاومة الثقافية، لذلك فهو يرى ضرورة خلق تعليم عربي بجميع أقسامه و لكل الأطوار.

و بخصوص التعليم الديني في المدارس فإن علال يعتبره واجبا وجوب اللغة و التاريخ ، و لا يتصور مدرسة مغربية " لا تعني بتعليم الدين فهو واجب وجوب اللغة و التاريخ والحساب و غيرها من المواد الأولية، التي لا يستغني عنها منهج من مناهج التعليم"⁽³¹⁾، فاللغة و التاريخ و الدين هي جزء لا يتجزأ من شخصية المغرب، و اعتبر مسألة " الحياض المدرسي قضية خرافة"⁽³²⁾، و يعلل علال الاهتمام بتعليم الدين الإسلامي في المدارس كون الإسلام " لا يزيدنا إلا تثبيثا في الأصول التحريرية والمبادئ الإجتماعية، التي من شأنها أن تنشر العدل وتشعر الفرد بمسؤوليته أمام الجماعة وواجبه في خدمتها"⁽³³⁾.

دعا علال إلى إصلاح جامع القرويين وإدخال " التنظيمات العصرية على التعليم الديني"⁽³⁴⁾ ، فسهر بنفسه على إحداث تعليم ديني عصري " و إحداث كليات الشريعة و كلية اللغة العربية و كلية أصول الدين التابعة لجامعة القرويين"⁽³⁵⁾، و انتقد القائمين على جامعة القرويين ومسؤوليها بقوله⁽³⁶⁾: " إن الجامعة القروية، و كلية الشريعة على الخصوص محتاجة إلى كثير من عناية المسؤولين و رعايتهم لأنها تمثل الإستمرار الثقافي الإسلامي".

ويرى علال إجبارية التعليم وأنه على الحكومة أن تحمل الناس على أن يتعلموا و أن الحكومة التي " لا تحمل الجاهلين على أن يتعلموا لبي حكومة لا قيمة لها في الاعتماد العصري، و لا تستحق من المواطنين أي احترام أو تقدير"⁽³⁷⁾، و اقترح برنامجا للقضاء على الأمية والجهل، ذلك بأن تقوم الدولة بوضع مخطط لمدة عشر سنوات بحيث توزع فيها المملكة على عشر مناطق تعليمية بحسب عدد الأطفال، بحيث لا تقل كل منطقة عن

مسألة التربية و التعليم عند عبد العزيز الثعالبي و علال الفاسي

مائتي ألف تلميذ، ثم تقوم بإجبار التعليم لتلاميذ منطقة واحدة في كل سنة، وأن ذلك يتطلب أربعمئة مدرسة في كل عام.

و تطبيق هذا البرنامج التعليمي على حسب المناطق يواجهه إشكال، فهو يجعل إجبارية التعليم على حسب الأقاليم، الأمر الذي يجعل الإقليم العاشر متأخرا عن الأول تسعة أعوام كاملة، وهي بلا شك مضرّة مؤكدة، كما تجعل عدم الاستقرار و عدم التوازن بين الأقاليم، و يعلل علال رأيه هذا بأن تطبيق البرنامج دفعة واحدة غير ممتيسر.

انتقد علال الفاسي السياسة الاستعمارية في مسألة إعداد الأطر التعليمية على اعتبار "القائمين بالأمر لم يفكروا في إعداده ولا تهيئته، فليس في المغرب كله مدرسة معلمين ابتدائيين أو عالين، وليست هناك بعثات للتخصص في هذه المهمة، وكل ما هنالك أقسام ناقصة مبتورة تكون المعلم الأهلي على الصفة التي يريدتها تقنيو الشؤون الأهلية و ساستها"⁽³⁸⁾ و بهذا يكون علال الفاسي قد انتقد السياسة الاستعمارية في المغرب فيما يخص تعدد المدارس و الانتقائية التمييزية بين الأغنياء و الفقراء من أبناء الشعب، و كذلك تغيير اللغة القومية، و انصرافها عن تكوين الأطر التعليمية المغربية، لذلك كان اهتمامه بتكوين الأطر اهتماما كبيرا في برنامجه الإصلاحية، على اعتبار "أن تكوين الإطارات حجر الزاوية أيضا في كل عمل بنائي"⁽³⁹⁾.

ويركز علال بشكل كبير في نظريته لمسألة التربية و التعليم على "عروبة المضمون الثقافي للهوية المغربية"⁽⁴⁰⁾، كل تلك العناصر التي أشار إليها علال هي "شروط أساسية لقيام المدرسة الوطنية"⁽⁴¹⁾ كما لم يغفل الحديث عن المعلم والأستاذ إذ أنه "ذا قيمة كبيرة في المجتمع العصري لأن عمله الهام يتصل بحياة الجماعة كلها ... لأنه الذي يصنع أجيال المستقبل و يهيئهم للحياة السعيدة الرغدة... لأن مهنة المعلم مهنة خطيرة يجب أن يعنى بها، و تعطى من الاهتمام و الجهد ما يخرجها عن الحالة السيئة التي هي عليها اليوم"⁽⁴²⁾.

اهتم علال أيضا بالتكوين المهني في قوله⁽⁴³⁾: "و هكذا يمكننا أن نعتبر التعليم المهني ضروريا للأمة، لأن البلاد محتاجة إلى بنائين و حدادين و فلاحين حاجتها إلى أطباء و محامين و أدباء"، إذ أن قيمة هؤلاء لا تنقص في المجتمع و الكل يتكامل في خدمته، و التوجيه إلى التكوين المهني لا يكون على أساس طبقي أو تمييز بين أولاد الأغنياء و الفقراء، وإنما يكون

على حسب الاستعداد و القابلية، ومن هنا جاءت دعوته إلى إنشاء مؤسسات خاصة للتكوين المهني.

من إصلاحات علال التعليمية السعي للقضاء على الأمية عند الكهول وأنصاف الأميين الذين لم يستكملوا دراساتهم الابتدائية أو الثانوية.

ويمكن أن نخلص من خلال عرض نظرة الرجلين للمسألة التربوية والتعليمية التي تكاد تكون منطبقة، من خلال التركيز على المضمون الثقافي لهوية كل من البلدين، من دين و لغة وتاريخ، واستعمال الفكر والنظر، و التركيز أكثر على الجانب الديني والخلقي الذي يحافظ على الشخصية الوطنية.

ونلاحظ أن كل من الرجلين ينشدان تعليما عصريا وحديثا، يعتمد الوسائل الحديثة التي تهدف إلى بلوغ التقدم والتطور وللحاق بالركب الحضاري.

كما يمكن ملاحظة أن كلا منهما قد ناضل منذ الدراسة، الثعالبي بالزيتونة وعلال بالقرويين من أجل إصلاح مناهج التعليم وبرامجه وإدخال إصلاحات من أجل التعليم العصري، فكلاهما كان تائرا على الجمود في مناهج التدريس، وعلى التقليد الذي يعارض التحديث وقد كان حظ الثعالبي من خلال مسيرته ضد الجمود أن لاقى السجن و العذاب.

و ما يميز الرجلين أثناء الحماية على بلديهما إقتناعهما بالعمل التربوي كأسلوب لإصلاح الحالة المتردية، وأيضا كمرحلة مهمة لتحقيق الوعي و التحرر الوطني، وهو الأسلوب الذي نصح به الشيخ محمد عبده التونسيين عند زيارته إلى تونس عام 1903م، لأن تحقيق العلم يعني القضاء على الجهل، ومن ثم القضاء على تبعاته من خرافة وخوف وجمود، وكلاهما أعطى وصفا لحالة التعليم في بلده و دعا إلى تأسيس المدارس الحرة وإسهام السكان لإنجاحها للمحافظة على المبادئ والقيم والشخصية الوطنية من خلال مقاومة المخططات الاستعمارية الرامية إلى مسخ هذه الشخصية.

ويبدو أن التوجه التربوي لدى الثعالبي مبني أساسا على منهج وصفي بعيد عن التحديد والتدقيق، ويمكن القول أنه " يدخل في الإطار العام للتربية ولا يتعداها إلى الخاص"⁽⁴⁴⁾ بخلاف علال الفاسي الذي يصف منهجه التعليمي و يفصل بشكل خاص كيفية تحقيقه من خلال برنامجه التعليمي في كتابه النقد الذاتي، ولهذا فإنه يمكن القول بأن التوجه الإصلاحي التعليمي لدى الثعالبي يدخل في دائرة التوجيه العام بينما هو عند

مسألة التربية و التعليم عند عبد العزيز الثعالبي و علال الفاسي

- علال يحمل طرحا مفصلا وفق برنامج مسطر هو جزء من تصوره الشامل للدولة الوطنية المرتقبة , و يمكن أن نشير إلى إتفاق الرجلين حول:
- التأكيد على التعليم الديني و إنشاء المؤسسات التي تبين حقيقة الإسلام الصحيح المتحرر بعيدا عن الخرافة و الشعوذة.
 - ضرورة تعليم العلوم العقلية إلى جانب العلوم الديني, مع التركيز على الفهم والإدراك وإعمال العقل و الابتعاد عن الحشو.
 - الاتجاه نحو التعليم العملي الذي يحبب العمل إلى الأولاد, و أشار إليه علال بالتكوين المهني وهو المصطلح المعتمد في هذا الجانب من التعليم.
 - دعوة كل منهما إلى إصلاح المناهج والبرامج وأن تكون وفق الأساليب الحديثة وأن يشمل هذا الإصلاح الاهتمام بالأستاذ والمناهج و وسائل التعليم الحديثة.
 - الدعوة إلى التعريب وأن تكون اللغة العربية هي لغة التدريس, وأن يكون التعليم "باللغة القومية الموحدة في جميع مدارس الوطن"⁽⁴⁵⁾ ويتفق الرجلان كذلك في مسألة تعليم اللغات الأجنبية من أجل الاقتباس من علوم الغرب, إلا أن علال يعارض مسألة ازدواجية اللغة في المدارس ويعتبر اللغة العربية هي لغة الدراسة.
 - الدعوة إلى تعميم التعليم وإجباره ليشمل كل أبناء الشعب دون تمييز.
- الهوامش:

- 1- عبد العزيز الثعالبي جريدة الشورى تاريخ 3 فبراير/ شباط 1927م.
- 2- مسعودة مسعود بوالخضرة الشيخ عبد العزيز الثعالبي و دوره في الإصلاح الاسلامي المكتبة العصرية صيدا لبنان ط1 1995 ص 139-140.
- 3- عبد العزيز الثعالبي تونس الشهيدة دار الغرب الإسلامي لبنان ط1 1984 ص 75.
- 4- المصدر نفسه ص 63.
- 5- المصدر نفسه نفس الصفحة.
- 6- المصدر نفسه ص 68.
- 7- جلول الجريبي أسس النهضة عند عبد العزيز الثعالبي ج2 رسالة دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية السنة الجامعية 1987- 1988 جامعة الزيتونة تونس ص 359.
- 8- المرجع نفسه ص 344.

- 9- شارل أندري جوليان المعمرون الفرنسيون و الشباب التونسي تعريب محمد مزالي البشيرين سلامة الشركة التونسية للتوزيع دت ص112.
- 10- مسعودة مسعود بوالخضرة لمرجع السابق ص 140.
- 11- محمد الفاضل بن عاشور الحركة الأدبية و الفكرية بتونس الدار التونسية للنشر ط3 1983 م ص113.
- 12- جلول الجريبي المرجع السابق ص365.
- 13- المرجع السابق نفس الصفحة.
- 14- حمادي الساحلي الشيخ عبد العزيز الثعالبي مجددا دينيا و مصالحا اجتماعيا مجلة روافد عدد 5 1999-2000 م تونس ص 181.
- 15- أنور الجندي العالم الاسلامي والاستعمار السياسي و الاجتماعي و الثقافي دار المعرفة ط1 1970 ص 166.
- 16- جلول الجريبي المرجع السابق ص366.
- 17- أنور الجندي المرجع السابق ص82.
- 18- عبد العزيز الثعالبي محاضرات في تاريخ المذاهب و الأديان دار الغرب الإسلامي بيروت 1985 م ص196.
- 19- عبد العزيز الثعالبي تونس الشهيذة المصدر السابق ص281.
- 20- عبد العزيز الثعالبي محاضرات في تاريخ المذاهب و الأديان المصدر السابق ص203.
- 21- عبد العزيز الثعالبي حاحتنا إلى اللغة الفرنسية وبقية اللغات الحية مجلة الفجر عدد6 جانفي 1921م.
- 22- المصدر نفسه نفس العدد.
- 23- علال الفاسي النقد الذاتي دارالفكرالمغربي مطبعة كريماديس المغرب ط2 دت ص260.
- 24- المصدر نفسه نفس الصفحة.
- 25- علال الفاسي مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1991 م ص194.

- 26- علال الفاسي النقد الذاتي المصدر السابق ص261.
- 27- المصدر نفسه ص264.
- 28- المصدر نفسه ص265.
- 29- محمد السلوي أبو عزام أسرار و حقائق عن علال الفاسي الفاسي دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء ط1 1981 ص60.
- 30- علال الفاسي النقد الذاتي المصدر السابق ص265.
- 31- علال الفاسي المصدر نفسه ص270.
- 32- المصدر نفسه ص271.
- 33- المصدر نفسه نفس الصفحة.
- 34- علال الفاسي دفاع عن الشريعة منشورات مؤسسة علال الفاسي مطبعة الدار البيضاء ط3 1995 م ص300.
- 35- محمد السلوي أبو عزام المرجع السابق ص152.
- 36- علال الفاسي دفاع عن الشريعة المصدر السابق ص303.
- 37- علال الفاسي النقد الذاتي ص273.
- 38- علال الفاسي المصدر نفسه ص278.
- 39- علال الفاسي معركة اليوم و الغد مطبعة الرسالة ط2 ماي 1999 م الرباط ص101.
- 40- سعيد بنسعيد العلوي المضمون الثقافي للهوية المغربية عند علال الفاسي مجلة منبر الحوار السنة الثامنة العدد 28 ص30.
- 42- سعيد بنسعيد العلوي الوطنية و التحديثية في المغرب مركز دراسات الوحدة العربية ط1 بيروت 1997 م ص106.
- 43- علال الفاسي النقد الذاتي مصدر سابق ص289.
- 44- مسعودة مسعود بوالخضرة الشيخ عبد العزيز الثعالبي و دوره في الإصلاح الإسلامي مرجع سابق ص149.
- 45- علال الفاسي النقد الذاتي مصدر سابق ص261.